مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الهـــــــدف

التاريخ : ١٩٧٦/٢/٢٨

أهداف التحرك المصري
بعد جولة السادات

الطريق إلى جنيف.. كيف ومتى!

القاهرة: وطلب موقف عربي متقارب وجبهة فلسطينية موحدة

كتب يحيى حمزه :

ما هو الهدف الاول لرحلة السادات مرورا بكل العواصم الخليجية ..؟ ما هي وجهة النظر المصرية التي طرحت في المباحثات وما هي النتائج التي اسفرت عنها ، والتي ستحدد الى حد كبير شكل ومضمون العمل والتحرك العربي خلال الفترة الدقيقة المقبلة ؟ لا شك ان الجانب الاقتصادي كان يشكل جزءا من اهداف جولة الرئيس المصري ، لكن لا جدال في ان الهدف السياسي للرحلة كان له الاولوية والاهمية ... وكان الهدف في كلمات قصيرة هو التمهيد عربيا لانتئناف مؤتمر جنيف ، استعدادا للتمهيد لذلك دوليا .

اذا لم ينعقد مؤتمر جنيف ... فما هو البديل ؟ أليس هو الحرب ؟ وهل يمكن خوض حرب شاملة مع اسرائيل الان بمقاييس الموازين السياسية الدولية ، وبمعايير الاعتبارات العسكرية الحالية للقوى العربية والدولية ؟ واذا لم تكن الحرب واردة او مواتية حاليا فهل هناك من طريق اخر غير جنيف لانقاذ قضية الشرق الاوسط من التجمد والجمود الذي هو مرادف تماما لمرحلة اللاسلم واللاحرب التي عانت منها القضية العربية ٦ سنوات كاملة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ ؟ كان هذا السؤال هو المحور الرئيسي لوجهة النظر المصرية في مباحثات الرئيس السادات في جولته الخليجية الحالية ، بل انه كان في الحقيقة الهدف الاول من رحلة الرئيس المصري .

والاجابة صعبة على مختلف الاسئلة والتساؤلات السابقة التي اثارها الجانب المصري في مباحثاته الخليجية ، ولم تستغرق وقتا كبيرا من المباحثات الرسمية والجانبية ، لكن الذي استغرق الوقت كله كان هو اسلوب تحقيق هذه الاجابة .. او بمعنى اخر كيف الطريق الى جنيف مع ضمان اشتراك الفلسطينيين فيه ، ومع ضمان اكبر قدر ممكن من احتمالات النجاح له وسط حقول الالغام العربية والدولية المحيطة به بصورة قد تتحطم معها البقية الباقية من التضامن العربي الهش .

كان السؤال الاصعب خلال مباحثات السادات هو كيف يمكن مداواة الجروح العربية وعلاج الخلافات وتقريب وجهات النظر ، واقناع الاطراف العربية — غير

المقنعة — بالذهاب الى جنيف للمشاركة في مؤتمرها الموعود .. وكان الامر بالنسبة للجميع ان ذلك الهدف يجب الوصول اليه من خلال التحرك العربي المكثف في الفترة المقبلة ، لكن كان واضحا ان تحقيق هذا الهدف ما زال محاطا باحتمالات عديدة ومخاطر ومحاذير كثيرة ، وان كان ذلك كله حافزا اكثر للمحاولة وللتحرك العربي النشط خلال الفترة المقبلة .

وكل ذلك فضلا عن كل الدلائل يجمع على ان الفترة المقبلة ستكون فترة مهمة وبالغة الحساسية في الساحة العربية من جهة وعلى صعيد التحرك الدولي بالنسبة للقضية العربية من جهة اخرى . يؤكد ذلك توقيت الجولة الحالية للرئيس السادات ، خاصة ان الجولات الخليجية والعربية الشاملة للرئيس المصري عادة ما تكون مقدمة تحرك دولي جديد بالنسبة لقضية الشرق الاوسط بغض النظر عن نوعية هذا التحرك وطبيعته وابعاده وموقف مختلف الاطراف العربية منه .

وعلى سبيل المثال فقد كانت الجولة العربية الشاملة للرئيس السادات في مايو الماضي ، سابقة مباشرة على لقاء القمة المصري — الاميركي في سالزبورغ وما تبعه وترتب عليه من اتصالات ومباحثات اسفرت في النهاية عن اتفاقية فصل القوات الثانية في سيناء .

وجولة السادات الحالية هي تمهيد للتحرك المصري والعربي والدولي الى مؤتمر جنيف ، الذي تبني الدبلوماسية المصرية كل خططها وحساباتها المقبلة عليه ، والذي يرى — من وجهة نظرها — انه الاطار « الوحيد » المطروح حاليا للتحرك على صعيد العمل الدبلوماسي الدولي بالنسبة للقضية العربية .

ويمثل ذلك نقطة انتقال جزئية في مراحل التصور المصري لاسلوب التحرك الدبلوماسي في قضية الشرق الاوسط ، الذي كان يقوم على اساس ان يتركز الجهد العربي بعد اتفاقية فصل القوات الثانية في سيناء على عقد اتفاقية الفصل في الجولان ، ثم يعقب ذلك التوجه الى مؤتمر جنيف للتباحث حول التسوية الشاملة بحضور واشتراك الفلسطينيين .

الا انه ازاء تعثر مسيرة التحرك السياسي عربيا ودوليا فيما يتعلق بقضية الشرق الاوسط ، اصبحت احتمالات مناقشة مبدأ عقد اتفاقية جديدة للفصل في الجولان تكاد تكون معدومة ، يضاف الى ذلك ان انفجار الاوضاع في لبنان بكل ما احاط بها من توسيع لهوة الخلافات العربية ، قد ادى — من وجهة النظر المصرية — الى توقف في النشاط الدبلوماسي على صعيد القضية العربية وصل بها الى حد التجمد والجمود .

عام فلسطين وعام جنيف

وكل ذلك جعل الدبلوماسية المصرية تطرح اقتراح التوجه مباشرة الى جنيف بحثا عن التسوية الشاملة باعتباره السبيل الذي اصبح وحيدا لمحاولة التقدم بقضية الشرق الاوسط على صعيد الحل السلمي .

ومن هنا كانت اشارة الرئيس السادات المتكررة بان عام ١٩٧٦ سيكون عام فلسطين تعنى بالنسبة للكثير من المراقبين انه سيكون عام جنيف ، الذي يمثل بالنسبة لوجهة النظر المصرية التسوية الشاملة لقضية الشرق الاوسط التي ستتضمن — بالنسبة للتصور المصري ايضا — اقامة الدولة الفلسطينية .

لبنان وتوقيت الجولة

وفي الواقع ان توقيت جولة السادات يجيء مترافقا مع الكثير من الاعتبارات السابقة . فهو يجيء قبل رحلة السادات

يوم ٢٩ مارس الى ثلاث دول اوروبية هي فرنسا وايطاليا والمانيا الغربية ، كما انه يجيء مصاحبا لمجموعة من الاتصالات الدولية المكثفة حول التحضير لانعقاد مؤتمر جنيف سواء قيام السكرتير العام للامم المتحدة بارسال مبعوث خاص للشرق الاوسط لمعرفة وجهات نظر دوله في امكانيات انعقاد هذا المؤتمر او رسائله الى امريكا وروسيا والدول المعنية حول نفس الموضوع بالاضافة الى استدعاء امريكا لسفرائها في مصر وسوريا والاردن للتشاور حول ذات الموضوع ايضا .

يضاف الى ذلك كله ان جولة السادات تأتي بعد فترة قصيرة من الاستقرار والهدوء النسبي في لبنان ، وهو ما يمكن أن يتيح مناخا اكثر ملاءمة عن ذي قبل لتضييق هوة الخلافات العربية ، وتركيز الجهد العربي نحو قضية الشرق الاوسط بعد ان امتصته الازمة اللبنانية وحولت مساره الرئيسي .

وقد تكون مصر غيراضية او مرتاحة للطريقة التي انتهت اليها تطورات الاحداث في لبنان ، لكن القاهرة قد تكون قد قبلت هذا الوضع على مضض على اساس انه يتيح الفرصة لاستئناف العمل الدبلوماسي حول القضية العربية ارتباطا بانعقاد مؤتمر جنيف . ذلك ان القاهرة ترى ان احداث لبنان قد عطلت وجمدت اسلوب التحرك السياسي المصري والعربي اكثر من عشرة شهور كاملة ، منذ توقيع اتفاقية سيناء لفصل القوات ، كما انها ترى ان تجدد الاحداث الدامية في لبنان قد ينسف هذه المرة جهود الاعداد لمؤتمر جنيف الذي تراهن القاهرة بفالبية اوراقها عليه وتبني حساباتها على اساس انعقاده ومحاولة اكسابه اكبر قدر من امكانيات النجاح على صعوبتها .

جولتان في جولة واحدة

والواقع ان جولة السادات هي جولتان في جولة واحدة . فقد كان من المقرر ان يقوم رئيس الوزراء المصري السيد ممدوح سالم بجولة خليجية في الشهر الماضي هدفها الرئيسي بحث مجالات التعاون الاقتصادي المصري الخليجي ، وقيام الدول الخليجية بتقديم دعم او قروض مالية لمصر بفائدة بسيطة وعلى اقساط طويلة الاجل مع فترة سماح كافية وزيادة الاسهام الخليجي في مشروعات الاستثمار بمصر . ولما تاجلت هذه الجولة فقد تقرر ان تدمج مع رحلة السادات دون ان يقلل ذلك من اولوية الهدف السياسي لجولة الرئيس المصري وهو الاعداد لمؤتمر جنيف ، على اساس ان اشارة الرئيس السادات للدعم الاقتصادي لمصر سيعطي دفعا وزخما للاهتمام الخليجي به ، على أن يبحث ذلك بصفة عامة وتترك مهمة بحث التفاصيل لزيارة ممدوح سالم المقبلة للمنطقة ، والتي من المحتمل ان تتم في شهر مارس .

السعودية والكويت والاغلبية العربية

من ناحية أخرى واذا كان توقيت جولة السادات قد تم اختياره بدقة وتوافق مع الظروف العربية والدولية، فقد تم ترتيب برنامج الجولة بتوافق وتنظيم دقيقين ومقصودين ايضا .

فالجولة تشمل كافة الدول العربية الخليجية ، وهي تمثل ثقلا عربيا ودوليا له حجمه الكمي والكيفي الكبير، ويطلق عليه الرئيس المصري تعبير « الاغلبية العربية عندما يقول دائما انه يعرض وجهة نظر مصر مدعمة برأي الاغلبية العربية » .

والجولة تبدأ بالسعودية التي تمثل ثقلا عربيا فضلا عن انها احد مفاتيح

السياسة الخليجية بصفة عامة والمحددة للكثير من مؤشراتها ، بالاضافة الى انها اولى دول النفط العربي بكل ما يمثله من تاثير كبير في الموقف العربي وانعكاساته دوليا .

واختتام الجولة بزيارة الكويت له مغزى اخر . فالكويت لها وضعها السياسي والاقتصادي المتميز خليجيا وعربيا ، كما انها تتمتع بعلاقات وثيقة مع كل دول المواجهة ومع المقاومة الفلسطينية ، مما يتيح لها قدرة كبيرة على الحركة لتقريب وجهات النظر العربية وعلى التحرك بالموقف العربي دوليا على صعيد القضية الفلسطينية .

كيف الطريق الى جنيف ؟

تحرص العديد من الدول الخليجية التي شملتها جولة الرئيس المصري على اقامة علاقات متوازنة مع مختلف دول المواجهة ، وبذات الخصوص مع كل من مصر وسوريا ، لكن هذا التوازن في العلاقات غالبا ما يتخذ طابعا سلبيا يقتصر على عدم اغضاب هذا الطرف او ذاك . ولا شك في ان ذلك ساعد على جمود وسلبية الموقف العربي ككل. ومن هنا كانت لمباحثات الرئيس السادات في دول الخليج اهمية خاصة ، فهي تقتضي بالضرورة قيام هذه الدول باتخاذ موقف ثابت ومحدد من مستقبل التحرك العربي وفي عدد من الموضوعات الحساسة التي تختلف وجهات نظر دول المواجهة بالنسبة لها .

وفي السعودية كان التاييد السعودي لوجهة النظر المصرية واضحا الى حد التطابق كما اشارت الكثير من تصريحات الجانبين السعودي والمصري ، لكن ذلك لا يغفل انه كان هناك نقاش طويل وعميق حول اساليب تحقيق اهداف التحرك المصري والعربي في الفترة المقبلة ، او بمعنى اكثر دقة اساليب الحيلولة دون تجمد وجمود القضية العربية .

وكما قال الامير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي « للقبس » فانه لا خلاف على الهدف وانما البحث عن الاساليب الكفيلة بتحقيق هذا الهدف هو المطلوب وهو المهم وهو مهمة المسؤولين العرب في الفترة المقبلة . وكان سعود الفيصل محددا في تعبيراته وتصريحاته ، فقد قال اننا بحثنا الوسائل الكفيلة بعدم عودة الجمود الى القضية العربية ، وكان ذلك يعني ضمنا ان السعودية ترى ان استمرار تطور الامور بوضعها الحالي سيؤدي الى جمود قضية الشرق الاوسط ، اي الى حالة اللاحرب واللاسلم ، كما انه كان يعني ان السعودية تؤيد ضمنا استئناف مؤتمر جنيف ، لكن الاهم من الاقرار بضرورة انعقاده هو بحث الوسائل الكفيلة بالاعداد لانعقاده عربيا ودوليا .. وهنا تكمن المهمة الصعبة في الفترة الحالية والمقبلة .

ومن هنا كان السؤال الذي فرض نفسه في مباحثات السادات في دول الخليج هو .. كيف يكون الطريق الى مؤتمر جنيف .. وكيف يكون التحرك اليه عربيا ثم دوليا ؟

موقف عربي وفلسطيني موحد

وكان هناك اتفاق في وجهات النظر المصرية والخليجية على ان استئناف مؤتمر جنيف يتطلب عربيا تحقيق عنصرين بالغي الاهمية :

- اولا : موقف عربي موحد او متقارب نسبيا على اضعف الاحتمالات .
- ثانيا : موقف فلسطيني موحد يتمثل في جبهة وطنية فلسطينية لها راي واحد .. على الاقل بالنسبة لمبدأ الاشتراك في مؤتمر جنيف ، ومن بعده التصور الفلسطيني الذي سيطرح ويناقش داخل المؤتمر .

ولا شك ان التحرك العربي المكثف الذي ستشهده المنطقة خلال الفترة المقبلة سيستهدف تحقيق هذين الهدفين، اللذين نستطيع ان نؤكد انه سيكون

للسعودية والكويت على وجه الخصوص دور ملموس في تحقيقهما .

هل تحضر سوريا جنيف ؟

ووجهة النظر المصرية ـ سواء جانبها التوفيق ام لا ـ متفائلة الى حد ما . فالمسؤولون المصريون يحللون مواقف الاطراف العربية المعنية مباشرة بمؤتمر جنيف كالتالي :

● بالنسبة لدمشق يرى المراقبون المصريون ـ من وجهة نظرهم ـ ان سوريا ، في النهاية ، ستحضر مؤتمر جنيف وتشارك في اعماله حتى لو كان رايها حاليا غير ذلك ، خاصة ان كافة الاطراف العربية بما فيها مصر تصر على انه لا جنيف بغير الفلسطينيين فالمصريون يبنون رايهم ذلك على مجموعة من الافتراضات والاسئلة قوامها انه لا حرب ولا سلم الا بمصر ، بمعنى ان سوريا لا تستطيع ان تحارب اسرائيل بغير مشاركة الجبهة المصرية ، كما انها لا تستطيع القيام بقطع خطوات بعيدة على صعيد العمل السياسي والدبلوماسي للتقدم بالقضية العربية بغير مصر ايضا . ومعنى ذلك في راي المراقبين المصريين ان مناداة السوريين بالحرب هو قول غير واقعي يدرك السوريون انفسهم استحالة تطبيقه عمليا . ولما كان احتمال الحرب غير واقعي او عملي فالحل البديل هو مؤتمر جنيف ، او القبول بجمود القضية ووقوعها ثانية في براثن حالة اللاحرب واللاسلم ، وهي اخطر من كافة محاذير ومخاطر جنيف ، كما يرى المراقبون المصريون .

يضاف الى ذلك من وجهة نظر مصر، ان الاتحاد السوفيتي يبني موقفه وتحركه في قضية الشرق الاوسط على اساس انعقاد مؤتمر جنيف ، وهي نقطة قد يكون لها تاثيرها ايضا في حسابات الموقف السوري .

ولكن هل تتوافق الحسابات المصرية مع السورية .. سؤال تصعب الاجابة عليه حاليا .

الاردن سيشترك في جنيف

● واما بالنسبة للاردن فالمسؤولون المصريون يرون ان ما ذكره بعض المسؤولين الاردنيين من تصريحات مؤخرا على اساس انهم لن يشتركوا في مؤتمر جنيف لا يعدو الاستهلاك المحلي . ووجهة نظرهم في ذلك هو ان كثيرا من الشواهد تؤكد ان الاردن يرحب بل يتوق الى الاشتراك في جنيف . فالبيان المشترك الاردني ـ السوفيتي ، مثلا، الذي صدر في أعقاب زيارة السيد عبد المنعم الرفاعي لموسكو يؤكد على ان البلدين : روسيا والاردن يؤيدان ضرورة انعقاد مؤتمر جنيف .

ويضيف المراقبون المصريون ان الاردن يهمه جدا عدم الغياب عن جنيف لانه احد المؤثرات المهمة التي تربطه بالقضية الفلسطينية بعد ان قلصت مقررات مؤتمر الرباط هذه المؤثرات والروابط الى حد كبير . وهم يستطردون قائلين: كيف يمكن ان يستساغ انه في الوقت الذي يتحين الاردن الفرصة فيه للتحلل من التزامه بمقررات الرباط ، يتنازل عن المشاركة في مؤتمر جنيف مهما كانت الاعتبارات التي قد تدعوه لذلك .وعلى ذلك فالقاهرة ترى ان الاردن ، في النهاية سيحضر مؤتمر جنيف وتشارك فيه .

الموقف الفلسطيني من جنيف

● يبقى في النهاية الموقف الفلسطيني .. وفي نظر القاهرة ان الفلسطينيين طرف اساسي ورئيسي لا يمكن بغير وجوده ان يتم مؤتمر جنيف . وكافة البيانات المشتركة التي صدرت في ختام زيارات الرئيس السادات في جولته الحالية اكدت على ضرورة الاشتراك الفلسطيني . وفي راي القاهرة انه لو وجهت دعوة دولية لمنظمة التحرير الفلسطينية لحضور مؤتمر جنيف فانها

لن ترفض هذه الدعوة لانها فرصتها الذهبية لتاكيد الاعتراف الدولي والامريكي والاسرائيلي بها ، حتى لو جاء هذا الاعتراف ضمنيا في صورة الاشتراك في مؤتمر جنيف .

ولكن الاهم من اشتراك الفلسطينيين في جنيف هو اتفاقهم على موقف موحد داخل المؤتمر ، واتفاقهم على استراتيجية واحدة لا تنفجر الخلافات من داخلها لتفتت الموقف العربي ككل .

وزراء الخارجية العرب

ومن المؤكد ان الفترة المقبلة ستشهد نقاشا دبلوماسيا عربيا مكثفا ، يتمثل في جولات وزيارات عربية لمواجهة الخلافات العربية ورسم خطوط الموقف العربي مستقبلا .

كما ان مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالقاهرة يوم ١٥ مارس المقبل ، سيكون منطلقا للتحركات العربية في هذا الاتجاه .

● ● ●

هذه هي التقديرات المتفائلة للتصور المصري والتحرك المصري الحالي والمقبل .. فهل هي متفائلة اكثر من اللازم ..؟ ام ان جولة السادات الاخيرة كفيلة بتذليل بعض العقبات امام تحقيقها ..؟ واذا كان ذلك ممكنا فليست العقبات الباقية ما زالت تشكل محاذير كثيرة على مسيرة التحرك المصري والعربي في الفترة المقبلة ؟

وعموما فهذا هو الجانب العربي فقط من التحرك المصري تجاه جنيف..